الاغنياء والفقراء

كتب المستر اندرو كارنجي الغني الكبير والمحسن الشهير مقالة موضوعها ما يجب على الاغنياء نحو الفقراء ونحو الامة كلها نشرتها مجلة نبولاث الانكليزية في جزئها الاخير فرأينا ان نترجمها عنها لانها حرية بان يقرأها كل من جمع ثروة تزيد عن حاجته وحاجة اولاده قال :—

ان الغنى متوزع على الناس الآن توزعاً ليس فيه شيء من المساواة ولا من الانصاف ولا بدّ للناس من ان يسنّوا قانوناً لتوزيعه بالقسط وهم ينظرون في ذلك الآن بدليل ما سمعناه بالامس من كلام روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاميركية حيث قال معبراً عن الرأي العام

" يجب على اهالي الولايات المتحدة ان يبحثوا في المسائل المتعلقة بتوزيع الاموال الوافرة التي جمعها بعض الناس واستخدامها لما فيه النفع العام والخاص . ويجب علينا ان نميز بين الاموال التي كسبها اصحابها بطرق الحلال والاموال التي كسبوها بطرق الحرام — وبين الاموال التي كسبها ذووها وهم يخدمون ابناء جلدتهم خدماً كبيرة نافعة والاموال التي جمعها ذووها بطرق غير محلّة ولكن سلطة القانون لا تصل اليها وهذه الاموال لا تصير رزقاً حلالاً مهما أُنفق منها في سبُل الخير والمبرّات . وعندي انهُ لا بدّ لنا يوماً ما من ان نسنّ قانوناً يخوّل الحكومة الحقّ بان تأخذ جانباً كبيراً من اموال الاغنياء حينما يهبونها او يورثونها اذا زادت عما يحتاج اليه من توهب له او من يرثها. وهذا القانون تسنّهُ الامة نفسها لا حكومتها ويكون خاصاً بالثروة التي تزيد عن الحاجة زيادة يخشى ضررها "

واذا اوافق الرئيس على هذا القول كله ولقد مرّ الآن سبع عشرة سنة منذ كتبت في هذا الموضوع في مجلة اميركا الشمالية واشرت بان توضع ضريبة على الاموال الموروثة تزيد بزيادتها حاسباً ان ذلك اصلح الطرق لإنالة الامة نصيباً عادلاً من مال الاغنياء الكبار. وقد مرّت السنون فلم تزدني الاّ رسوخاً في هذا الرأي واعتقاداً بعدالته ونفعه للامة كلها ولزومه في المستقبل القريب

ولقد كتب كثيرون في تسفيه هذا الرأي وقالوا انهُ من آراء الاشتراكيين فهو مناقض لمصالح الافراد ومقوّض لدعائم اهل الهمم العالية واصحاب الاعمال الكبيرة. ولكنني لو حسبتُ انهُ موافق مذاهب الاشتراكيين او مخالف لمصالح الافراد لكنت آخر من يقول كلمة في تأييده

لاني لا اثق بشيء اكثر مما اثق بان النجاح والعمران متوقفان على مساعي الافراد فاذا كان الانسان يحصد غير ما يزرعهُ لقوضت دعائم العمران كما ومن سعى رعى ومن جال نال ومن زرع اكل حصد الندامة والمجتهد الخلاق يجب ان ينال مالا ينالهُ الكسلان الجاهل ومن يزرع الريح يحصد الزوبعة

ولقد كانت الاموال ملكاً مشاعاً تشترك فيهِ القبيلة كلها ثم تخصصت الاملاك بارتقاء الناس في الحضارة والعمران وانتقالهم من الحالة الاشتراكية الى الحالة الافرادية المستقلة . ولم يجمع الناس على ذلك الاَّ لانهم رأوا ان الاشتراك في الاموال والمقتنيات لا يأول الى النجاح ولا ينطبق على مقتضيات العمران . والاستقلال بالاملاك بعد شيوعها لم يبنَ على امر فطري او ديني بل على ما بيَّنهُ الاختبار واثبت انهُ لازم للنجاح ولذلك لا يخشى ان يعود الانسان القهقرى الى الحالة المعجبة التي كانوا فيها حينما كانت الاملاك كلها مشاعاً لان نامس الارتقاء يمنع الرجوع الى الوراء واذا تطرَّف الانسان في الاستقلال بالاموال وحشدها حتى آل ذلك الى ضرر فلا بدَّ من استنباط طريقة تزيل الضرر وتزيد النفع وتعممهُ . وعندي ان هذه الطريقة هي وضع ضريبة متزايدة على الثروات الطائلة التي يموت عنها اصحابها تتفق في مصلحة الامة . ووضع الضريبة المتزايدة على المواريث ليس امرًا جديدًا بل قد عملت بهِ بريطانيا العظمى من عهد طويل واشار بهِ العالم الاقتصادي ادم سمث حيث قال انهُ يفرض على رعايا كل مملكة ان يساعدوا حكومتها بالنسبة الى مقدرتهم

ولنبحث الآن عن اصل الثروة لنرى كيف تجمع وما هو سببها

افرض ان رجلاً فلاَّحًا من اهل الجد والنشاط اتسعت ثروتهُ بعض الاتساع ولهُ ولدان فاستطاع ان يعطي كلاًّ منهما ابعدية (حقلاً) من اباعدهِ واقترن كلٌّ منهما بفتاة من فضليات النساء عرفها وعرفتهُ منذ الصغر وربيا معًا في الحقة والنزاهة وكانت احدى الابعديتين الى الشمال من مدينة نيويورك والاخرى الى الجنوب منها فألقى الولدان قرعة فأصابت الجنوبية الاكبر والشمالية الاصغر ولم يكن لهما يد في هذا الاختيار ولا كان على ضد ارادتهما ولم تكن الابعديتان كبيرتين ولا ثمينتين بل ثمن كلٍّ منهما بضع مئات من الريالات . فاخذ الاخوان يعملان كلٌّ في ابعديتهِ والناس ينظرون اليهما بما يستحقانهِ من الاكرام لاجتهادهما واستقامتهما وكانا كريمين يجودان على اعمالهما البرَّ بما في طاقتهما ويساعدان المحتاجين والمعوزين بما تصل اليهِ ايديهما وكانا متساويين في الهمة والاجتهاد والمواظبة وفي طاعتهما شرائع بلادهما . وولد لهما اولاد وشبوا فاحسنا تربيتهم وتعليمهم

ثم جعلت مدينة نيويورك تنمو وتتسع الى جهة الشمال — فاضطر اولاد الاخ الاصغر وصاروا من اصحاب الملايين واما اولاد الاخ الاكبر فبقوا فلاحين متوسطي الحال يحصلون خبزهم بعرق جبينهم

فمن فرق بين اولاد الاخ الاكبر واولاد الاخ الاصغر فأبقى الاولين من الفلاحين المتوسطي الحال ورفع الآخرين الى درجة الاغنياء الكبار - ليس الاجتهاد ولا المهارة ولا الهمة ولا الحكمة ولا الاستقلال في خدمة الوطن ولا شيء من كل ذلك بل نمو الامة هو الذي اعطاهم الثروة ونمت ثروتهم وهم نيام كما نمت وهم قيام ولو وقفت ابعديتهم من نصيب عمهم واولاده لكانت هذه الثروة لهؤلاء لا لهم فليس لهم يد في تحصيلها على الاطلاق

ثم مات هؤلاء الاولاد وخلفوا ثروة تقدر بالملايين الكثيرة لان ابعديتهم صارت جزءاً من المدينة وبُنيت فيها المباني الفخيمة ذات الريع الوافر فأي قانون من قوانين العدل والانصاف لا يجيز للامة التي هي سبب هذا الغنى ان تنهض وتطالب بجانب كبير منهُ . وفي لم تنهض وتطالب بجانب من هذا الغنى في حياة الاولاد الاولين بل تركتهم يتمتعون بالثروة التي نمت في ايامهم لانها حسبت انهم بذلوا بعض الجهد في انمائها وخير للامة ان تترك المجتهد يتمتع بثمرة اجتهاده ما دام حياً اذا كان هناك وجه للظن انهُ بذل بعض الجهد في انماء الثروة وليس من الحكمة التعرض للنحلة التي تجني العسل ما دامت تسعى في جنيه ولكن اذا مات هؤلاء الاولاد لم يبقَ سبيل للشك في ان ثروتهم تأتي اولادهم عفواً من غير اقل تعب في تحصيلها والامة أحق بها منهم لانها اشتغلت في انمائها اكثر مما اشتغل والدوهم والبلاد التي يزيد سكانها زيادة عظيمة كالولايات المتحدة يكون اكثر الزيادة في ثروتها من زيادة ثمن العقار فقد كان ثمن العقارات في الولايات المتحدة سنة ١٨٩٠ نحو ٣٩٥٤٥ مليون ريال فصار سنة ١٩٠٠ نحو ٥٢٥٣٨ مليون ريال فزاد ١٢٩٩٣ مليون ريال في عشر سنوات وسبب هذه الزيادة نمو السكان السمتر ولا بد لاصحاب العقار فيه كما اتضح من مثال الاخوين المتقدم والجهة التي لا يزيد سكانها يبقى ثمن عقارها على حالهِ واذا قلَّ عدد سكانها هبط ثمن العقار فيها اي ان نمو الامة هو الذي يزيد ثمن الممتلكات فيزيد الثروة فاذا لم تنم بل قلَّ عددها هبطت الاثمان وقلَّت الثروة العقارية فهي مدينة للامة اكثر من كل ممتلكات الانسان

ولننظر الآن في سائر الاهالي التي يثري اصحابها لنرى ما هو نصيبهم من زيادة الثروة لنفرض ان خمسة اخوة اولاد فلاح واحد مشهور بهمته واجتهاده تفرقوا في طول

البلاد وعرض احدهم سكن ولاية نيويورك والثاني مدينة بتسبرج والثالث شيكاغو والرابع موتانا والخامس مدينة نيويورك

فرأى الاول ان سكك الحديد لازمة لمدينة نيويورك وستزيد بزيادة نموها فجعل يشتري من اسهم شركاتها وجعلت قيمة هذه الاسهم ترتفع بنمو البلاد وازدياد السكان ولاسيما في العاصمة وكانت تلك الشركات تمتلك ارضاً واسعة على جوانب خطوطها فزادت قيمتها زيادة فاحشة وظل يشتري الاسهم كلما هبط سعرها ويسعى في انشاء سكك حديدية الى ان صار من الاغنياء الكبار . ولقد كان لهُ يد في نمو ثروته ولكن اليد الطولى لنمو الامة وازدياد عدد السكان اذ لولا ذلك ما زادت ثروتهُ معها زادت همتهُ وزاد اهتمامهُ فالامة شريكة لهُ في هذه الثروة وعلى الحق بأن تأخذ جانباً كبيراً منها

وسكن الولد الثاني مدينة بتسبرج حينما كشفت مناجم الفحم فيها وظهر ان فحمها جيد لسكك الحديد وكشف فيها منجم آخر يصلح فحمهُ للاحراق في الآلات البخارية فبنيت مسابك الحديد هناك ودلَّت الدلائل كلها على ان تلك المدينة ستصير مركزاً لمسابك الحديد وانها سترخص عمل الفولاذ فيصير فولاذها ارخص فولاذ في الدنيا فانتبه الى حفظ الامر واهتمَّ به وليس في ذلك شيء خارق العادة ولا فيهِ دليل تفوُّق في الهمة والذكاء وغاية ما فعلهُ انهُ وثق بنمو بلاده وبنجاح تجارة الفولاذ لاحتياج الاعمال اليهِ وخاطر بالقليل الذي يمتلكهُ في هذا السبيل واقنع بعض الماليين حتى مدوهُ بالمال واشترك مع الناس من رأيهِ وبنوا المسابك والمعامل فنجحوا وكسبوا ملايين كثيرة ثم زادوا في اماكن اخرى وفتشوا عن مناجم الحديد فيها وابتاعوها وابتاعوا ايضاً اراضي كثيرة فيها مناجم الفحم والغاز الطبيعي وكل ما يلزم لاستخراج الحديد وسبكهِ وعمل الفولاذ منهُ فاحسنوا صنعاً لا لانهم كانوا من نوابغ الرجال بل لانهم احسنوا نظرهم في الامور وتقدير العواقب . فلم يكونوا المعادن بل رأوها في الارض فاشتروها بثمن بعدهُ الآن بخساً جداً وكانت حينئذٍ ملكاً مشاعاً ولا يخفى ان اكثر ثروتهم منها واكثر ثروتهم كان ملكاً للامة ولم تصر ثروة حقيقية الاَّ بنمو الامة وكثرة طلبها للحديد والفولاذ ولولم تنمُ ما كانت ثروتهم ولا كان لهم شيء من الغنى فبأي حق تحرم الامة من هذه الثروة حينما يقف جامعوها عن جمعها ويحين الزمن لتوزيعها اي لاعطائها للذين لم يتعبوا في جمع دينار منها

والولد الثالث ذهب الى شيكاغو فدعتهُ اخواله الى الاتجار بالقمح فجعل يقسمهُ في الغلب ويرسلهُ الى الجهات . ابتدأ برأس مال ضعيف فزادهُ رويداً رويداً حتى صار من الاغنياء

الكبار بسبب نمو السكان وكثرة طلبهم للحم . ولو بقيت شيكاغو على ما كانت عليه حينما دخلها وبقيت البلاد كلها على ما كانت عليه من حيث عدد السكان لما كسب شيئاً من الثروة التي كسبها . فنمو الامة واحتياجها الى اللحم الكثير هما سبب اتساع عمله وازدياد ثروته فيجب ان تكون شريكة لا ولاده في هذه الثروة

والولد الرابع سمع عن غنى المناجم المعدنية فذهب الى منتانا وأصاب فيها منجماً كثير النحاس والفضة ولولا ازدياد السكان سكان هذه البلاد وغيرها لرخص ثمن النحاس والفضة كثيراً لكثرتهما في تلك المناجم ولكن ازدياد السكان وازدياد الطلب على النحاس والفضة أبقيا له ربحاً وافراً فصار من اصحاب الملايين ولو لم يوجد النحاس والفضة في مناجمها ولكنه وجدها هناك فاستخرجها واشتراها الناس منه بثمن غالٍ بسبب ازدياد عددهم وشدة احتياجهم اليها فالناس الذين زادوا قيمة هذين المعدنين او منعوها من الهبوط يستحقون جانباً من الكسب الذي صار بايديهم

والولد الخامس سكن مدينة نيويورك نفسها وانضم الى احد مباشرة الاسهم وجعل يضارب ويكتسب وكان الزمن زمن ارتفاع الاسعار في كل شيء فجمع ثروة طائلة من غير ان يفيد احداً من الناس لان مال المضاربة لا فائدة منه لاحد والمضاربون سوى حيوانات طفيلية تعيش من امتصاص دماء الناس ثم قاده حب الكسب الى احتكار صنف من الاوراق فرأى ان الذي يأخذ الناس بالحيلة والخداع يأخذه الناس بالحيلة والخداع فخسر كل ما كسبه وصرم حبل حياته بيده ورأى اخوته ذلك فزاد اجتنابهم للمضاربة . والمضارب لا يموت عن ثروة الا اذا اتفق انه مات قبلما يضيع ما كسبه بالمضاربة . وفي هذه الحالة يحق للامة ان تأخذ الجانب الاكبر من ثروته لانه اختلسها اختلاساً من اموال الذين خدعهم فاضر نفسه واضرهم

ومن الاغنياء اناس جمعوا اكثر ثروتهم بجدهم وذكاء عقولهم ومن هؤلاء المخترعون الكبار الذين شاعت مخترعاتهم فانتفعوا منها ونفعوا غيرهم مثل غراهم بك مخترع التلفون واديسن مخترع المخترعات الكهربائية الكثيرة فان هؤلاء استنبطوا اموراً مفيدة وعرفوا انها ستشيع وتربح فابقوا لانفسهم سهماً كبيراً في الشركات التي تألفت لها فصدر ثروتهم ذكاء عقولهم وهم جديرون بكل تجلة واحترام

وقد يقال ان ارباب الاعمال كلهم كاصحاب المعامل ومنشئي سكك الحديد وغيرهم استنبطوا اساليب جديدة لنجاح اعمالهم فامتازوا على غيرهم وفازوا بالنجاح . وهذا صحيح ولكن

المخترعات التي اعتمدوا عليها لم تكن لهم بل لغيرهم وغاية ما فعلوهُ هو انهم عرفوا نفعها واستخدموها في اعمالهم . وهم احق من غيرهم بجانب من الربح الذي ربحوهُ ولكن يبقى الفضل الاكبر والنصيب الاوفر لنمو الامة حتى في استعمال مخترعات المخترعين

ولذلك كله لا ارى وجهاً لحرمان الامة من جانب كبير من اموال الاغنياء حينما يموتون بل من الجانب الاكبر منها ما دام نمو الامة هو السبب الحقيقي لزيادة هذه الاموال ولا ينكر ان بعض الناس فاقوا غيرهم في ادارة الاعمال الكبيرة ونجاحها ومنهم اكثر منشئي سكك الحديد وباقي السفن التجارية ومقيمي المعامل الصناعية والتجار واصحاب البنوك . رجال مثل هؤلاء جمعوا ثروتهم بالهمة والاستقامة وحسن النظر في العواقب والتفوق على غيرهم من معاصريهم جديرون ان تشتعوا بثروتهم ولا يحسن ان يضيق عليهم بوجه من الوجوه لانهم من بناة المعالي ومنشئي ثروة الامة . لكن هؤلاء الرجال قلما ينفقون شيئاً يذكر من اموالهم بل هم في الغالب من اشد الناس اقتصاداً فترك الثروة لم كتركها لخزنة امناء يحتفظون بها اشد الاحتفاظ . والذين يبذرونها ويبددونها انما هم اولادهم الذين لم يتعبوا في جمعها

ولقد اشار بعضهم بضريبة الايراد دواء لهذا الداء ولكن ضريبة الايراد تغري الناس بالكذب فتفسد آداب الامة كما قال غلادستون . وخير منها اخذ جانب من ميراث الاغنياء وهو المروف بضريبة المواريث التي تزيد نسبتها بزيادة الثروة حتى لا يبقى لاولاد الغني الا ما يكفيهم ولا يضرهم . انتهى بالمجاز

المفاضلة بين الشعراء

باب في اختلاف الصور على المعنى الواحد او في اظهاره تحت مظاهر مختلفة

ان اختلاف الصور والاساليب مع وحدة المعنى لأشبه شيء بضروب النقوش التي تنقش على قطعة من نسيج ابيض او بالالوان التي تلوَّن بها تلك النقوش فما كانت الوانها ناصعة متآخية يشبُّ بعضها بعضاً كانت جميلة وكلما عظم تناسب الالوان علت درجة الجمال وتزايد رونق الحسن لكن مع ذلك قد يحسن زيد ما لا يحسن عمرو وكلاهما يؤثر ما استحسن على ما استحسن الآخر وكذا الامر في ما يؤدى به المعنى الواحد من الاساليب المختلفة وبهذا الاعتبار تقع المفاضلة بين ابيات الشاعر الواحد او ابيات الشعراء الواردة بمعنى حتى يكون بيت الشعر من بيت كما يكون شخص الشعر من شخص